أساليب التدريس القيم في ضوء القران الكريم والسنة النبوية

د. محمد انوار الكبير*

خلاصة القول (Abstract)

لقد اهتم سيد المرسلين ورحمة للعالمين ومعلمنا الأول بالتعليم والتربية منذ أول وحي أنزله الله تبارك وتعالى إليه، وأعد الأجيال المسلمة بهذه التربية والتعليم التي وصلت بها إلى أرفع أمة دينا وخلقا. وما زال شباب الإسلام ينهجون في نهجهم، ويسيرون في بناء المجد سيرهم ويستفيدون من نور مكارمهم ، و من المعلوم إن أساليب التعليم متعددة ومتنوعة، وعلى المعلم أن يختارها لإعداد الأجيال الجديدة وتعديل سلوك المتعلمين، وليهذب خلقهم وينقي قلوبهم ، ويكون المعلم ذا شفقة على المتعلمين . وأن يجريهم مجرى بنيه، فيحرص على كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وعلى المعلم أن يستخدم الوسائل التعليمية التي تساعد على استثارة اهتمام التلاميذ نحو موضوعات الدراسة أكثر من الاستماع للمعلم فقط فاستخدام الوسائل التعليمية يقدم للتلاميذ وقائع لها معنى ملموس وذات صلة بموضوع الدرس، ويكون المعلم قدوة حسنة للتلاميذ في عمله وتدريسه وفي الأمور المتعلقة في الحياة .

الكلمات المهمة : أساليب التدريس ، فضل التعلم والتعليم ، الموعظة الحسنة ، رعاية الفروق الفردية، القدوة الحسنة.

[Abstract: One of the key aspects of the prophet Muhammad (SAAS)'s mission was education since the very first day of revelation. He was regarded as the firs teacher. Through his educational mission, he managed to cultivate a generation who reached the apex of development in terms of religion as well as moral values and became the most advanced nation. Till now, Muslims all over the world are benefiting from noble qualities of their predecessors and pursuing the same path to re-gain their glory. However, there are a number of methods in teaching and a teacher should be familiar with them in order to modify students' manners, to rectify their characters and to purify their hearts. This article aims to illustrate some approaches of teaching in order to make learning process easier in the light of Qur'an and Sunnah. This study also presents some of the major qualities that a teacher should possess, as teachers are regarded as role model for the students.]

المقدمة

إن التعليم والتعلم ذو أهمية كبيرة لتنشئة الإنسان الصالح الذي يعبد الله ربه حق عبادته ، ويعمر الأرض وفق شريعته ، ويسخرها بعقيدة صحيحة وفق المنهج القويم ، ولذلك حث القرآن والسنة على تعلم العلم وتعليمه بقوله تعالى " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (العلق 1) القراءة عنوان العلم ومفتاحه ومصباحه ، فإذا كان أول أمر إلهي نزل به القرآن "اقرأ" فكان ذلك أوضح دليل على مكانة العلم وتعلمها في الإسلام، ولذا قال الرسول ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (1) وحث الرسول ﷺ على التعلم أعظم الحث، ورغب فيه كل الترغيب حتى جعله فريضة لازمة ، وذلك في الحديث الذي اشتهر على الألسنة حتى حفظه الكبير والصغير والخاص والعام" طلب العلم فريضة على كل مسلم" (2) و لذلك قال الشافعي رح : طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة" (3) فالتعلم والتعليم ضروري لكل إنسان ولكن المشكلة كيف يعلم المعلم ويتعلم المتعلم ، هدف هذا المقال بيان أساليب التعليم حتى يمكن للمعلم أن يسهل التعلم للمتعلم في وقت قصير وهناك طرق التدريس وأساليب متعددة ومتنوعة ، يريد الباحث أن يوضح بعضا منها في ضوء القرآن والسنة وبالله التوفيق .

* Associate Professor, National University, E-mail: absardu@gmail.com

فضل التعلم والتعليم

إن المعلم يلعب دوراً مهماً في إيصال المعلومات إلى أذهان التلاميذ بأسلوب سهل في وقت قصير ، وله شأن عظيم عند الله وأجر كبير في الآخرة كما قال الرسول ﷺ في الحديث النبوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه المسلم "(4) وحديث آخر يقول : "ما من رجل مسلم تعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله عز وجل فيتعلمهن ويعلمهن إلا دخل الجنة" (5) وكان السلف إنما يسمون الرجل" ربانياً" إذا علم وعمل بعلمه وعلّم غيره الى قول الله تعالى : "ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون" (آل عمران : 79)

أساليب التدريس

على المعلم أن يراعي الأساليب التالية في التدريس:

1-الرفق بالمتعلم والحنون عليهم

ويجب على المعلم أن يرفق بالمتعلم ويأخذ بيدهم ويعاملهم معاملة الأب لولده مقتدياً بالمعلم الأول رسول الله ﷺ الذي وصفه الله بقوله " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف الرحيم " (التوبة : 128)

وقال الله تعالى في القران الكريم " الرحمن علم القران " (سورة الرحمن : 1)

وقد قال الرسول ﷺ فيما روى عنه مسلم "إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا" فالرسول ﷺ كان يعلم أصحابه بالرفق والحكمة وليس بالعنف والغضب. يدل على أن تعليمه لأصحابه كان بالرفق والحنان ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : " بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال لأصحاب رسول الله ﷺ : " لاتزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم الرسول صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول والغذر إنما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن، وأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من الماء فثنه عليه أي صبه" (6) ولذا علماء التربية في هذا العصر ينصحون المربين باتباع هذا الأساس وينهونهم عن العنف والغضب و التشدد على المتعلم في التعليم والتربية لأن العنف في التربية لا يفيد المتعلم .

وقال الدكتور يوسف القرضاوي" وأهم ما يميز علاقة الأبوة بالنبوة هو الرحمة والرفق والحنو . وهذا ما ينبغي أن يحس به التلميذ من أستاذه ، ويشعر بحبه له ، وحرصه على نجاته وسعادته في الأولى والأخرى ، ويغرس الحب والأخوة بين طلابه كما يغرس الأب المحبة بين أبنائه حتى يحب بعضهم بعضا ويعاون بعضهم بعضا ، ويعطف بعضهم على بعض ، ولا يتباغضوا ولايتحاسدوا . وكذلك كان علماء السلف في علاقاتهم بتلاميذهم"(7)

إن ضرب الصغار للتعلم واستخدام العصا في التعليم لم يشرعه الإسلام والتربويون المعاصرون في عصرنا ينكرون الضرب على الاطلاق .

2- التجنب عن الغضب على الطلاب

يجب على المعلم أن يجتنب عن الغضب على الطلاب ، وذلك لأن الغضب يعوق في سبيل التعلم والتعليم ولذا اشتملت سنة رسول الله ﷺ على كثير من أساليب التهذيب للنفس ضبطاً للانفعال وعلاجاً له ، ويتميز بتخليص الجسم والنفس من الآثار الضارة للانفعال " (8)

ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني قال لا تغضب فردد مراراً قال : لاتغضب " (9)

3- اختيار الاعتدال والبعد عن الإملال

يختار المعلم أسلوب الاعتدال وعدم الإملال في التلاميذ لأن الاعتدال في قدر ما يلقى من المعلومات يؤثر فيهم كما وجدناه عند الرسول ﷺ فيما رواه البخاري بسنده عن أبي وائل قال : كان عبد الله ابن مسعود يذكر الناس في

خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ؟ قال أما إنه يمنعني من النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا (10)
وقد ذكر الغزالي : " أن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى الى ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر ﷺ ، ولا يبث الى الحقيقة الا إذا علم أنه يستقل بفهمها (11)

4- اختيار أسلوب الحوار والاستجواب
يختار المعلم أسلوب الحوار والاستجواب ، وذلك بطرح الأسئلة على طلابه لجلب انتباههم وليحرك ذكاءهم . ويقدح فطنتهم ويسبقهم المواعظ المؤثرة في قالب الاقناع والمحاجاة وذلك تأسيا بما جاء في القرآن الكريم من أسلوب التعليم حيث قال الله تعالى "وما أدرك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر" (سورة القدر: 2 -3) وقال الله تعالى " القارعة ، ما القارعة ، وما أدرك ما القارعة" (سورة القارعة 1-3) وغيرهما من الآيات تدل على ذلك .

5- اختيار الوسائل البصرية والسمعية
على المعلم أن يستعين في التدريس بكل وسيلة بصرية أو سمعية ، لأن الوسائل التعليمية جزءا هاماً من مكونات الاتصال، وعملية الاتصال تكون من مرسل ومستقبل. وبينهما الرسالة والوسيلة التي تقدم خلالها الرسالة ، فهي تساعد على استثارة اهتمام التلاميذ وإشباع حاجتهم للتعلم فمثلا مشاهدة فيلم تعليمي تستثير اهتمام التلاميذ نحو موضوعات الدراسة أكثر من الاستماع للمعلم فقط. فاستخدام الوسائل التعليمية يقدم للتلاميذ وقائع لها معنى ملموس وذات صلة بموضوع الدرس (12) وتشمل الوسائل التعليمية السبورة واللوحات الوبرية ولوحات النشرات ولوحات العرض، تعتبر السبورة من أقدم الوسائل التي يستخدمها المعلم على مر العصور. ويرجع ذلك لسهولة الحصول عليها بأشكال مختلفة وأسعار زهيدة ، وهي تستخدم في عرض الكثير من الوسائل التعليمية الأخرى مثل الخرائط والملصقات واللوحات والرسوم وغيرها كما تستخدم في جميع المواد والمراحل الدراسية ، ويستطيع أن يستخدمها كل من المعلم والتلاميذ (13).

6- اختيار أسلوب الموعظة الحسنة
إن الأسلوب الموعظة الحسنة لمكانة كبيرة في التربية والتعليم في الإسلام لكونه من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانا واعداده خلقياً ونفسيا واجتماعياً، لهذا نجد القرآن الكريم قد أمرنا لاتخاذ الموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله والتعليم والتربية كما أن القرآن نفسه اتخذها منهجا لتربية الأفراد وتنقيتهم . ويؤكد هذا ما دل عليه السياق القرآني في أكثرمن موضع (14) فمن ذلك قوله تعالى "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يبني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم" (سورة لقمان :13)
و قوله تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" (سورة النساء: 85) فهذه الآيات وغيرها تؤكد أهمية الموعظة ودورها المتميز في استمالة النفس إلى الحق والصواب .
ومن أهم أساليبه الموعظة الحسنة انتهاج أسلوب القصة فقد كان الرسول ﷺ يعرض القصة بالأسلوب اللائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين ويستخرج منها أهم مواطن العبرة والعظة ليكون التأثير أبلغ والاستجابة أقوى .

7- رعاية الفروق الفردية
مراعاة الفروق بين بعضهم وبعض ضرورية ، فليس كل ما يصلح لشخص يصلح لآخر وليس كل ما يصلح لبيئة يصلح لأخرى ، وليس كل ما يصلح لفئة أو جنس يصلح لغيرها . وليس كل ما يصلح لزمن يصلح لسائر الأزمنة والعصور .
والمعلم الموفق هو الذي يعطي كل إنسان ـ فردا أو جماعة من العلم ما يلائمه ويصلح له وبالقدر الذي يصلح به، في الوقت الذي ينتفع به وكان معلم البشرية الأول خير المراعين لهذا الجانب نظرا وتطبيقا (15).
ومن أمثاله ، ولما سأله النساء عن الجهاد قال : " لكن أفضل الجهاد حج مبرور" (16) وفي صحيح البخاري عن أبي موسى قال : قالوا يارسول الله أي الاسلام أفضل ؟ قال " من سلم المسلمون من لسانه ويده" (17) والمقصود: أن المعلم طبيب يداوي القلوب والعقول بما يناسبها، وليس كل دواء يصلح لكل داء .

8- التعلم بالقدوة الحسنة

لا يكون كل التعليم بإلقاء الدروس والموعظة ، وقد يكون التعليم بالقدوة الحسنة. لأن الطلاب يقتدون بالأستاذ ويتأسون بأسوته . فلا بد أن يكون الأستاذ على قدر رفيع من الأخلاق والعلم ومن هنا يعد الإسلام القدوة الحسنة. من أهم آثار التربية والتعليم وأعمقها أثرا ، إذ أنها أعطتها وزنا كبيرا ، وجعلتها أساسا للتعليم ونموه ، وجعلتها أولى قواعد التربية والتعليم والتشغيل، ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في إصلاح الفرد أو فساده ، لما لها من تأثير في شتى الجوانب الخلقية والاجتماعية والوجدانية، وذلك لأن القدوة التي يقتدي بها الطفل أو الإنسان هي القدوة الحسنة. فقد اشارت آيات القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الحسنة في التربية ونجد ذلك في مواطن كثيرة منه إذ يقول الحق تبارك وتعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة "(سورة الأحزاب : 21) هذه الآية تدل على أهمية القدوة وأنها من أنجح الوسائل في التربية .

الخاتمة

قد بدا لنا من خلال هذه المناقشة الوجيزة أن أساليب التدريس لمعلمنا الأول "الرسول ﷺ" هي أفضل الأساليب وأنفعها. وقد ثبت هذا منذ أن مارست الإنسانية التعلم والتعليم. فمن همه التعليم الناجح والتدريس النافع لابد له اتباع هذه الأساليب النبيوية مهما كان في التعليم المادي والروحاني . كما نرى ذلك بارزا في القرآن الكريم والسنة النبوية . و كما نرى أن أساليبه يحيط بجميع المراحل للحياة الإنسانية فلذا يستفيد منها المعلم المتعلم جميعا على حد سواء.

المصادر و المراجع

(1) البخاري في فضائل القران 5077 وأبوداود في الوتر1452 والترمذي في فضائل القران
(2) ابن ماجة في المقدمة /224 وابن عبد البر في العلم، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث انس رض
(3) لابن عبد البر وأبو نعيم ، والخطيب "جامع بيان" موقوفا على معاذ ورفعه بعضهم ج 25/1 باب تفضيل العلم على العبادة
(4) الترمذي برقم 2682 من حديث أبي أمامة وقال حديث (حسن صحيح) غريب.
(5) أبو نعيم واسناده حسن لو صح سماع الحسن من أبي هريرة ترغيب .
(6) الترمذي في الطهارة 147 عن أبي هريرة رض وقال حديث حسن
(7) دكتور يوسف القرضاوي ، الرسول والعلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر . صـ123
(8) الشيخ خالد عبد الرحمن العك ، تربية الأبناء والبنات في ضوء القران والسنة ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان . صـ313
(9) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب
(10) متفق عليه من حديث ابن مسعود اللؤلؤ والمرجان : 183
(11) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي احياء علوم الدين، دارالندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان . بدون الطبع ج1 ، صـ57 - 58
(12) أحمد خيري كاظم ، جابر عبد الحميد : الوسائل التعليمية والمنهج 1979 صـ 13 - 14
(13) المرجع السابق صـ 279 - 282
(14) الشيخ خالد عبد الرحمن العك : تربية الابناء والبنات ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان . صـ 185
(15) دكتور يوسف القرضاوي ، الرسول والعلم ، مكتبة وهابية ، القاهرة ، مصر 1999 صـ 138
(16) رواه البخاري في الجهاد واليسر 2784
(17) متفق عليه من حديث أبي موسة اللؤلؤ والمرجان (25)
(18) الشيخ خالد عبد الرحمن العك : تربية الأبناء والبنات في ضوء القران والسنة ، دار المعارف ، بيروت، لبنان 2002 صـ 183